

فلم السعي للتفتيش عن أبولون
عندما يكون باخوس ساقينا
لنضحك ! ولنشرب
ولنسخر من كل ما عدا ذلك
لكل شراب عنيد ، أبقراط
يعد بعمر مئة عام
فماذا يهمُّ بعد كل ذلك ، ومع سوء الحظ
إن كانت الساق غير الثابتة
لاستطيع أبداً أن تجد في إثر الصبيَّة
فحسبنا أن نُفرغ القنينة
أليست اليد رشيقة دوماً؟
في اعتمادها على الدوام رضاعة حقيقية
ونحن نتبادل الأنخاب حتى سن الستين
لنضحك ! ولنشرب !
ولنسخر من كل ما عدا ذلك

هل تريدون معرفة من أين أتينا
الأمر بسيط جداً
ولكن معرفة إلى أين المصير

تتطلب مهارة كبرى
ودون أن نقلق، أخيراً
لنتمتع لعمرى حتى النهاية
بالطيبة السماوية
فمن المؤكّد أننا سنموت
لكن ما لاريب فيه أننا نحيا
لنضحك ! لنشرب .
ولنسخر من كل ما عدا ذلك .

في اللحظة التي كان الشاعر ينشد فيها هذا المقطع الغنائي الأخير الرهيب ،
دخل بيانسون ودارتز فوجداه في أقصى درجات اليأس ، تنهمر الدموع من عينيه
سيولا ، ولا يملك القوة لتبييض أغانيه . وعندما شرح عبر النحيب ، وضعه ، ورأى
الدموع تترقرق في أعين سامعيه .

- قال دارتز : « هذا يمسح كثيراً من الأخطاء » .

- قال الكاهن برصانة : « سعداء أولئك الذين يلقون الجحيم على الأرض » .

مشهد هذه الجميلة الميتة باسمه للخلود ، ومنظر عشيقها يشتري لها قبراً بأشعار
المجون وباربيه يدفع ثمن تابوتها ، والشمعدانات الأربعة حول هذه الممثلة التي كانت
تنورتها الباسكية وجواربها الحمراء ذات الزوايا الخضراء ، تهز ، بالأمس القريب ،
القاعة طرباً . ثم على الباب ، الكاهن الذي صالحها مع الله . يتهاى للعودة إلى الكنيسة
ليقوم فيها بقداس الجناز لتلك التي أحبت بإخلاص ! هذه العظام وهذه الرذائل ،
وهذه الآلام المسحوقة تحت وطأة الحاجة جمدت الكاتب الكبير ، والطبيب الكبير ،

الذين جلسا دون أن يستطيعا النطق بكلمة . وظهر خادم على الباب يعلن مجيء
الآنسة دي توش ، أدركت هذه الفتاة السامية كل شيء ، وتوجهت بسرعة إلى
لوسيان تشدُّ على يده وتزلق فيها ورقتين نقديتين من ذات الألف فرنك .

قال وهو يلقي عليها نظرة محتضر : «قضي الأمر وفات الوقت» .

لم يترك دارتز وبيانشون والآنسة دتوش لوسيان إلا بعد أن هدؤوا قنوطه
بأعذب الكلمات ، لكن جميع الحوافز كانت قد تحطمت لديه ، وعند الظهر كان
جميع أعضاء المنتدى عدا ميشيل كرستيان ، الذي أخطأ سابقاً في إدانة لوسيان ، قد
حضرُوا إلى كنيسة بون - نوقيل الصغيرة ، وكذلك برنيس والآنسة دي توش ، كما
حضر ممثلان ثانويان من مسرح الجيميناز ، ومساعدة كورالي في ارتداء ملابسها ،
وكاموزو السيئ الحظ . ومشى جميع الرجال في جنازة الممثلة حتى مقبرة الأب -
لاشيز ، وأقسم كاموزو ، وهو يبكي بدموع حارة ، للوسيان على أن يشتري أرضاً
يشيد عليها قبراً دائماً ذا عُميد نقش عليه : كورالي ، وتحت الاسم : ماتت في التاسعة
عشرة من عمرها (آب ١٨٢٢) .

بقي لوسيان حتى مغرب الشمس وحيداً على تلك الرابية ، وعيناه تعانقان
باريس ، وهو يتساءل : هل بقي لي حبيب ؟ أصدقائي الحقيقيون يزدرونني الآن ، أي
شيء كنت أفعله ، وكل ما في كان يبدو نبيلاً لهذه التي في القبر الآن ! لم يعد لي إلا
أختي ، وصهري دافيد ، وأمي ! مارأيهم بي الآن ، هناك ؟

عاد رجل المقاطعات الكبير البائس إلى شارع القمر ، لكن تأثره لم رأى المنزل
الفارغ بلغ درجة لم يستطع خلالها البقاء فيه ، ولجأ إلى أحد الفنادق الحفيرة في
الشارع ذاته وتمكن بفضل ألفي فرنك الآنسة دي توش وثمان أثاث البيت أن يسدّد

جميع ديونه وبقي معه مئة فرنك تمكن أن يتقوت فيها مع برنيس خلال شهرين قضاها في خور مرضي : لم يستطع خلاله الكتابة أو التفكير ، مستسلماً بلا مبالاة لآلامه حتى أن برنيس أشفقت عليه وهو يصيح حيناً لأخته وأمه ودافيد سيشار ، فسألته :

-إذا أردت العودة إلى مسقط رأسك ، فكيف ستذهب؟

- قال : على الأقدام .

- مع ذلك يجب الأكل والمبيت في الطريق ، وإذا مشيت اثني عشر فرسخاً في اليوم فيلزمك على الأقل عشرون فرنكاً .

- قال سأحصل عليها .

أخذ ثيابه وبياضاته الجميلة ، ولم يحتفظ إلا بالأشياء الضرورية الماسة . وذهب يرهنها عند سامانون الذي لم يعطه على كل تركته إلا خمسين فرنكاً ، ولم يلن المرابي رغم توسلات لوسيان لزيادة المبلغ لأنه يريد السفر في عربة أجرة . وفي غيظه ، صعد محموراً إلى صالة فراسكاتي يجرب حظه ، ونزل منها مفلساً . وعندما وصل إلى غرفته البائسة في شارع القمر طلب من برنيس أن تعطيه شال كورالي ، وأدركت الفتاة الطيبة من نظراته ، ومن اعترافه لها بخسارته في المقامرة ماينوي هذا الشاعر المسكين في قنوطه : إنه يريد الانتحار شنقاً .

قالت له : «هل أنت مجنون ياسيدي ، اذهب وتنزه وعد في منتصف الليل ، وسأكون قد حصلت لك على دراهمك ولكن ابق في الجادات ، ولا تذهب نحو أرصفة النهر» .

راح لوسيان يتسكع في الجادات ، مخبولاً من الألم ، ينظر إلى العربات والمارة ، يجد نفسه عاجزاً ، وحيداً وسط هذه الجموع المواراة ، تلسعها سياط آلاف

المصالح الباريسية . وأحسّ وهو يتخيّل ضفتي نهر الشارنت بالظماً إلى المسرّات العائلية ، وانتابته عند إحدى هذه البوارق القوة التي تخدع جميع الطبائع نصف الأنثوية ، ولم يشأ أن ينسحب من معركة الحياة قبل أن يكشف عن خفايا قلبه لقلب دافيد سيشار ، ويستشير الملائكة الثلاثة الذين مازالوا على حبهم له . ورأى أثناء تسكعه برنيس في أجمل ثيابها تتحدث مع أحد الرجال في جادة بون - نوفيل الموبّوءة ، حيث كانت تقف على زاوية تقاطع الجادة مع شارع القمر .

سألها لو سيان مرتاعاً من الشبهات التي دارت في رأسه من مظهر النورماندية : «ماذا تفعلين؟ قالت وهي تضع في يده أربع قطع من ذات الخمسة فرنكات : «هاهي عشرون فرنكاً ، يمكن أن تكلف غالباً ، لكنها ستؤمّن لك السفر» .

وهربت برنيس دون أن يعلم من أين مرت ، إذ يجب القول إنصافاً له إن هذه الدراهم أحرقت كفه ، وكان يريد أن يعيدها لها ، لكنه اضطر أن يحتفظ بها شاهداً على آخر وصمة عار من الحياة الباريسية .



الفهرس

٣	مقدمة الطبعة الأولى
	الرواية الثانية:
١١	رجل كبير من المقاطعات في باريس
	البانوراما - دراماتيك
١٩١	العرض الأول «القاضي في ورطة»
	مسرحية معقدة في ثلاثة فصول

۲۰۰۱/۸/۱۶ ۱۵۰۰

هذه الرواية، التي تقارب أربعمئة صفحة، لا تتعلق بلوسيان، رجل المقاطعات الكبير، الوافد من المقاطعات بثيابه القروية المثيرة للسخرية إلى باريس عاصمة الأرستقراطية والأناقة والموهبة، وحده، بل هي سجل كبير لشبيبة ذلك العصر شهداء المقاطعات، وللشرح الكبير الذي تتعرض له وسائل الإعلام وأجواء الأدب والثقافة من صحافة ومسرح ودور نشر ومكتبات ومنتديات أدبية وسياسية. ولوسيان يشكل حالة تطرح قضية. حالة رجل الموهبة الفقير الذي لا يجد ناشراً لكتابه أو ديوان شعره، ويريد أن يعيش من ريشته دون أن يتنكر لمبادئه. مثله في ذلك مثل جميع أولئك الشباب التواقين إلى المجد الذين يعانون الشقاء ويقدم لهم الخبز على حساب زكائهم فيضطرون إلى الإذعان والرضوخ ليتلاءموا مع المصالح المالية والسياسية للصحيفة التي غدت ملاذهم الأخير نتيجة تعديل الاستثمار التجاري للأدب وتبني الصحافة للرواية المسلسلة وبذلك ارتبط مصير بعض الكتاب بمصير الصحافة ورؤوس الأموال المتحكمة بها وسياسة الحكومة في منح تراخيص جديدة للصحف أو حجبها والمناورات التجارية في بيعها وشرائها. كذلك ارتبط مصير المسرح والممثلين والممثلات بالصحافة الصغيرة وما يقدم لها من عمولات عينية أو نقدية وبالمصنفين المأجورين والكتاب المرتشين وهكذا عم الفساد سوق الأدب والنشر ولم يسلم منه إلا نخبة من أصحاب الأفكار السامية المنضوين تحت لواء المنتدى الأدبي. أما لوسيان المتلهف إلى لقب دي روبمبره وانبعاثه النبيل فينتقل من الوسط الليبرالي إلى المعسكر الملكي ليغدو كبش فداء الحزبين ويخسر حبيبته وأصدقائه كما يخسر شرفه بتزوير ثلاثة سندات على دافيد صهره، ويغدو ذلك الرجل الهالك الهارب من ذلك الجحيم إلى مقاطعته.

الطبعة وفز اللؤلؤ مطابع وزارة الثقافة

دمشق ٢٠٠١

في الأقطار العربية ما يعادل

٣٨٠ ل.س

سعر النسخة داخل القطر

١٩٠ ل.س